

مجلة جامعة الملك خالد للدراستات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الخامس - العدد الرابع
أكتوبر 2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرقم المعياري الموحد

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد أ.د. نايف بن علي السنييد الشراي

د. علي بن عوض آل قطب عسيري د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر | معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري |
| جامعة الحدود الشمالية سابقاً | جامعة الجوف سابقاً |
| أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلاي | أ.د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش |
| جامعة الملك سعود | جامعة أم القرى |
| أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي | أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذيب |
| جامعة بيشة | جامعة الملك سعود |
| أ.د. غيثان بن علي جريس | أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي |
| جامعة الملك خالد | جامعة القصيم |
| أ. د. محمد بن منصور حاوي | |
| جامعة الملك خالد | |

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي . فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة [/https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals](https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals) وفق الشروط الآتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربياً تقليدياً Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقاً لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

تصدير العدد

يطيب هيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها السادس عشر (العدد الرابع من المجلد الخامس/ أكتوبر 2024م) الذي يحوي بين جنباته ثلاثة بحوث تنسم بالعمق والجِدَّة. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات .

والتزاماً من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العمل جارٍ على تحكيم بحوث العدد الأول من المجلد السادس (يناير 2025م) ومراجعتها تمهيداً للنشر في الموعد المحدد.

وأخيراً؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملاحظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترضيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فانع

محتويات العدد

جدول المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
	صناعة الأخشاب وأثرها على النشاط العسكري في دولة المماليك (923-648هـ/1250-1517م)
36-1	د. فهد عليّ حامد الحارثي جوانب من الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة في ضوء رحلة ابن رشيد السبتي (ت 721هـ / 1321م) الموسومة بـ "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة"
67-37	أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي الأمير طشتمر الناصري (ت. 743هـ/1343م) ودوره السياسي والحضاري في عصر أسرة الناصر محمد بن قلاوون وأولاده
93-68	د. مساعد العنزي

الأمير طَشْتُمَر الناصري (ت. 743هـ/1343م) ودوره السياسي والحضاري

في عصر أسرة الناصر محمد بن قلاوون وأولاده

د. مساعد العنزي*

جامعة الكويت - الكويت

المستخلص:

يُعد الأمير طَشْتُمَر الناصري من أهم الشخصيات المملوكية، والذي كانت له مساهمات عديدة سياسية وحضارية في عصر أسرة قلاوون. وقد كان للأمير مكانة مهمة عند عامة الناس، وطبقات المجتمع الدنيا لما تميز به من الكرم والسخاء، وأُطلق عليه لقب حمص أخضر لهذا السبب ولأسباب أخرى أوردها الباحث داخل متن البحث. تفاوتت مكانة الأمير طَشْتُمَر في عصر أسرة قلاوون ما بين الارتقاء في سلم المناصب المملوكية في السلطنة، وما بين الانحدار في غياهب السجون.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية الأمير طَشْتُمَر الناصري، ودوره السياسي في دعم وتقوية السلطة المملوكية الحاكمة. كما تبحث الدراسة عن أسباب تغير مواقف السلاطين من أسرة قلاوون تجاه الأمير طَشْتُمَر، التي كان لها دور كبير في ارتقائه ومن ثم انحدار مكانته عندهم والتي انتهت بمقتله. وكما تشير الدراسة بشيء من الإيجاز إلى دور الأمير طَشْتُمَر الحضاري أثناء توليه الوظائف في السلطنة المملوكية؛ نظرًا لأن المصادر المملوكية لم تستفص في الحديث عن هذه الجزئية إلا من بعض النصوص المعدودة التي أوردها الباحث.

أما عن مخطط البحث فقد قُسِّمَ إلى أربعة مباحث؛ تناول المبحث الأول: الأمير طَشْتُمَر الساقى صفاته وألقابه ومكانته السياسية، وتناول المبحث الثاني ترقيه في سلم الإمارة والوظائف المملوكية، وتحدث الباحث في المبحث الثالث عن دوره في الصراع بين أولاد الناصر محمد بن قلاوون، وقد ختم بالمبحث الرابع وتحدث عن مقتل الأمير طَشْتُمَر وأهم أعماله الحضارية.

كشفت الدراسة عن أهمية الأمير طَشْتُمَر حمص أخضر في البلاط السلطاني في عصر الناصر محمد بن قلاوون، وهو ما أهله للترقي في الوظائف المملوكية المرموقة، كما أنه تمتع بتأييد شعبي كبير خلال فترة وجوده في مصر لكثرة إنعاماته على الفقراء والأيتام والعوام، كما لعب هذا الأمير دورًا محوريًا في الصراع بين أبناء الناصر محمد بن قلاوون وهو ما أدى إلى مقتله عام 743هـ،

وخلد هذا الأمير من خلال بعض المنشآت المعمارية التي أنشأها خلال توليه للعديد من الوظائف المملوكية.

الكلمات المفتاحية: الأمير طَشْتُمُر؛ الدولة المملوكية؛ أسرة قلاوون؛ مصر.

Emir Tushtumur Al-Nasiri (D. 743A.H/1343 A.D), His Political and Civilizational Role in the Era of Qalāwūnid Dynasty in Egypt

Musaed Alenezi

Kuwait University – Kuwait

musaed.alenezi@ku.edu.kw

Abstract:

Emir Tushtumar al-Nasiri is considered one of the most important Mamluk figures who had many political and cultural contributions during the Qalāwūnid's dynasty. The Emir had an important position among the general public and the lower classes of society because of his generosity. He was given the nickname 'Green Chickpea' for this reason and for other reasons mentioned by the researcher in the text of the research. The status of Emir Tushtumar during the Qalāwūnid's dynasty varied between rising up the ladder of Mamluk positions in the Sultanate and descending into prison.

This study aims to shed light on the personality of Emir Tushtumar al-Nasiri, and his political role in supporting and strengthening the ruling Mamluk authority. The study also examines the reasons for the change in the attitudes of the sultans of the Qalāwūnid's family towards Emir Tushtumar, which played a major role in his rise and then the decline of his status among them, which ended with his death. The study also briefly points out the cultural role of Emir Tushtumar during his tenure in the Mamluk Sultanate. The Mamluk sources did not discuss this detail in detail except from some of the few texts cited by the researcher.

As for the research plan, it was divided into four sections: The first section dealt with: Emir Tushtumar al-Saqi, his qualities, titles, and political status. The second section dealt with his promotion in the emirate and Mamluk positions. The third section discussed his role in the conflict between the sons of al-Nasir Muhammad ibn Qalāwūn. The researcher concluded with the fourth section about the killing of Emir Tushtumar and the most important works of civilization.

The study revealed the importance of Emir Tushtumar 'Homs Akhdar' in the Royal Court during the era of Al-Nasir Muhammad ibn Qalāwūn, which qualified him for promotion in prestigious Mamluk positions. He also enjoyed great popular support during his time in Egypt due to his many blessings to the poor, orphans, and the common people. This Emir also played a role Pivotal in the conflict between the sons of Al-Nasir Muhammad bin Qalāwūn, which led to his death in 743 A.H/1343 A.D, and this Emir was immortalized through some of the architectural facilities that he created during his tenure of many Mamluk positions.

Keywords: Emir Tushtumur; Mamluk Sultanate; Qalāwūnid dynasty; Egypt.

المقدمة:

تطالعنا المصادر المملوكية بالحديث من خلال كتب الطبقات والتراجم عن شخصيات من كبار أمراء المماليك؛ الذين تمتعوا بالعديد من الألقاب التي تبرز قوة شخصياتهم؛ وعلى الجانب المقابل وجد الباحث ألقاباً أخرى كانت مثاراً للسخرية أو للمدح أو للذم؛ مثل: فأر السقوف الذي تلقب به الأمير ناصر الدين¹، وغيرها من الألقاب التي رددتها الطبقات الشعبية الدنيا وظلت ملصقة بمؤلاء الأمراء على مر التاريخ، وهو ما يبرز مدى تأثير العامة في كتب التاريخ، ومع ظهور هذه الألقاب بات على الباحثين المعاصرين بموضوعيتهم أن يبحثوا عن معاني هذه الألقاب، وأسباب التصاقها بأمراء المماليك، وهل كان هؤلاء الأمراء يستحقون هذه الألقاب؟.

وحسبنا في هذا البحث شخصية أحد كبار أمراء المماليك؛ ونعني به الأمير سيف الدين طُشْتُمُر الناصري الساقى الملقب بـ(حمص أخضر)، الذي نقوم بدراسته دراسة تفصيلية مستقلة لدوره الفعال في صناعة الأحداث بمعاصرته العديد من سلاطين دولة المماليك البحرية؛ حيث عاصر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في سلطنتيه الثانية والثالثة (698-741هـ/1298-1341م) إلى حين وفاته، مروراً بعصر أولاد الناصر محمد؛ المنصور سيف الدين أبي بكر الذي حكم في الفترة (741-742هـ / 1341-1342م)، والأشرف كجك الذي حكم في عام (742هـ/1342م)، وختاماً بالناصر أحمد (743-742هـ / 1342-1343م) الذي انتهى به المطاف قتيلاً على يديه في عام 743هـ/1343م بعد أن كان من كبار أعيان الأمراء المشاركين في صناعة القرار داخل السلطنة المملوكية.

تمثلت صعوبات البحث في كونه أولاً يأتي ضمن دراسة شخصية من الشخصيات المهمة في البلاط السلطاني المملوكي التي لم تتناولها أيدي الباحثين المحدثين بالدراسة الكافية، فنادراً ما وجد الباحث دراسة مستقلة عن الأمير طَشْتُمَر ودوره المهم خلال فترة حكم أسرة قلاوون في مصر. وثانياً أن هذا الأمير المذكور تمتع بتأييد شعبي قوي بين الطبقات الدنيا مثل الحرافيش والعامه، وهو ما جعل بعض مؤرخي العصر المملوكي يعمدون إلى إظهاره برؤية سلبية عكس طبيعة هذا الشخص نفسه وهو ما سيكشف عنه هذا البحث. وثالثاً وأخيراً تناثر مادته العلمية الثرية في بطون المخطوطات والمصادر الإسلامية المختلفة، مع ندرة الوثائق المتوفرة في هذا الجانب، وهو ما حدا بضرورة إبراز الدور الحيوي الذي لعبه هذا الأمير المهم في عصر أسرة قلاوون في مصر، ودراسته نقداً وتفصيلاً للوقوف على إيجابياته وسلبياته من خلال المصادر المملوكية.

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث فقد اعتمد على المنهج التاريخي وأدواته المختلفة من رصد واستقراء، بالإضافة إلى إفادة الباحث من منهج تحليل ونقد المضمون لمعظم النصوص التاريخية في ظل تفرقها إلى شذرات صغيرة بين ثنايا الكتب، وذلك من أجل الوصول للإجابة عن العديد من التساؤلات والإشكاليات التي تتعلق بشخصية الأمير طَشْتُمَر ودراسته دراسة تاريخية حضارية؛ ويمكن تناولها في المحاور الآتية:

المبحث الأول: الأمير طَشْتُمَر: صفاته وألقابه ومكانته السياسية.

المبحث الثاني: الأمير طَشْتُمَر: الإمارة والوظائف المملوكية.

المبحث الثالث: الأمير طَشْتُمَر والصراع بين أولاد الناصر محمد.

المبحث الرابع: مقتل الأمير طَشْتُمَر وأهم أعماله الحضارية.

المبحث الأول. الأمير طَشْتُمَر: صفاته وألقابه ومكانته السياسية:

هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقى الناصري؛ أحد المماليك الكبار المقربين من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وبالرغم من أن المصادر المملوكية قد ضنت علينا فيما يخص تاريخ مولده أو نشأته المبكرة وتدرجه في رتب الوظائف المملوكية؛ إلا أنها أفاضت في وصفه بالعديد من الصفات من حيث الشكل فوسمته بضخامة الجسم²، وأنه كان (مليحاً حسن الصورة)³، ومن (خيار الأمراء)⁴، وكان (من أعيان أمراء الدولة وأكابر المملكة)⁵، كما وصفته بأنه كان (وافر الحرمة ظاهر الحشمة عزيز الهممة عوناً عند المسألة، ذا نفس قوية وكف سخية، معروفاً بالسطوة والصولة)⁶، تبوأ مكانة مرموقة في دولة الناصر محمد بن قلاوون خاصة بعد مساهمته الكبيرة في عودة الناصر محمد إلى كرسي السلطنة للمرة الثالثة عام 709هـ/1310م⁷؛ ثم زادت مكانته لديه فصار مصاحباً

له في أسفاره ورحلات صيده في برّ الجيزة كما أورد المقرئزي (ت. 845هـ/1441م) في حوادث عام 712هـ/1312م⁸. وأمسى المؤرخون يتغنون بالمديح به في أشعارهم⁹ بقوله:

طوى الردى طشتما بعدما بالغ في دفع الأذى واحترس
عهدي به كان شديد القوى أشجع من يركب ظهر الفرس
ألم تقولوا حمصاً أخضراً تعجبوا بالله كيف اندرس

على الجانب الآخر نجد أن بعض المصادر وسمت الأمير طشتمر بالعسف والظلم والاستيلاء على مال الدولة؛ بدليل ما ذكره كل من اليوسفي والمقرئزي أنه حين ضرب القحط والغلاء مصر في عام 736هـ/1336م علم المحتسب باستيلاء طشتمر على أربعمئة أردب من الغلال أخرجها ليلاً من شونته¹⁰؛ وبعد أن تأكد المحتسب من صحة الخبر أرسل إليه مهدداً بقوله: "متى لم ترجع الغلة إلى الشونة، وإلا عرفت السلطان أمرها"، فأسرع طشتمر بردها خوفاً من بطش السلطان الناصر¹¹.

وفي الوقت الذي تباينت فيه المصادر المملوكية بصدد صفات الأمير طشتمر حمص أخضر الأخلاقية والوظيفية نجد أنها أجمعت على اللقب الذي أطلق عليه، وكان مثاراً للمدح والسخرية في آن واحد، ونعني به لقب (حمص أخضر)¹²، إلا أن أغلب هذه المصادر اختلفت فيما بينها في الوقت نفسه حول سبب إطلاق هذا اللقب عليه؛ فبينما يرى الفريق الأول أنه لُقب بذلك لكثرة أكله للحمص الأخضر فُلقب به¹³؛ وخير شاهد على ذلك أنه حينما كان في الطباق¹⁴ بقلعة الجبل بالقاهرة كان لا يأكل سواه، فسماه خشداشيتته بذلك¹⁵، وجدنا الفريق الثاني من المؤرخين المعاصرين يعزو إطلاق هذا اللقب عليه لأنه كان يقوم بتوزيع الفول والحمص الأخضر على الحرافيش¹⁶ وفقراء الصوفية في محاولة منه لاجتذابهم إلى صفه؛ لتقوى بهم شوكتهم تمهيداً لتحقيق طموحاته السياسية¹⁷ بينما يرى فريق ثالث أنه بسبب كثرة صدقاته على الأيتام من منحهم كسوة الصيف والشتاء، وبذل المال لهم، بالإضافة إلى أجور المؤدبين الذين يقومون بتحفيظهم القرآن¹⁸؛ إلا أن الباحث وجد صعوبة في الربط بين سبب تسميته بهذا اللقب وكثرة صدقاته على الأيتام كما أوردت المصادر لعدم وجود رابط مشترك بينهما؛ ولعل مرجع توزيعه للأموال بغير حساب كونه غنياً موسراً، حائراً للثروة والمال وهذه الصفة تدل على كرمه وبذله للمال؛ بدليل ما ذكره الصفدي عنه بقوله: "جمع من أزاهر الذهب والفضة، فزادت أملاكه ونمت أجورها، وعظمت خزائنه، وكان عطاؤه عطاء الملوك، وإذا جاء وهب الجواهر التي في السلوك، وفيه بر للفقراء وإيثار، وجود لهم على طول

المدى مدرار"¹⁹، وعليه فيرجح الباحث الرأيين الأول والثاني اللذين يرجعان سبب التسمية إلى كثرة أكله للحمص الأخضر، وتوزيعه على الحرافيش وفقراء الصوفية وربما الأيتام.

اللافت للنظر أن الأمير طشتمر حمص أخضر كان في فترة من فترات حياته غارقاً في الديون، ولم تكن لديه تلك الثروة الطائلة التي مكنته من القيام بأعمال البر للفقراء والحرافيش وعامة الناس من الطبقة الدنيا من جهة، والقيام بأعمال العمران من ناحية أخرى، ولنا أن نتساءل كيف تحول طشتمر حمص أخضر من شخص كان غارقاً في الديون إلى أحد كبار أمراء دولة المماليك الموسرين المالكين للأموال الطائلة والحائزين للإقطاعات؟ والإجابة هنا تكمن في أحد الشخصيات المالية التي لازمتها طوال حياته، وحيثما رحل ارتحل معه؛ لدرجة أنه حينما هرب من الناصر أحمد بن الناصر محمد إلى بلاد الروم- كما سيأتي- رحل معه أيضاً ولم يفارقه، ونعني به ناظر الجيش إبراهيم بن يوسف السامري اليهودي²⁰، الذي كان كاتباً للأمير بكتمر²¹، واعتنق الإسلام؛ وكان حجة في الأمور المالية، وانتهى به المطاف في كنف الأمير طشتمر حمص أخضر، فضبط أموره المالية، وبفضله زادت ثروته وامتلاأت خزائنه وفاضت؛ فأحبه محبة زائدة وبالع في تعظيمه وإكرامه، لدرجة أن العديد من كبار الأمراء أرادوا أن يأخذوه منه، إلا أنه توسل إلى الناصر محمد أن يظل عنده ووافق السلطان على طلبه، وكان طشتمر حمص أخضر يصحبه في جميع نيابات السلطنة التي تولاهها، لدرجة أنه حينما دخل في حماية أرتنا ملك الروم²² لحق به، وعاد معه مرة أخرى في سلطنة الناصر أحمد، فانتعشت خزائن طشتمر حمص أخضر بفضل هذا الرجل، ومن هنا كثر إنفاقه للأموال على الطبقات الدنيا في المجتمع²³.

ما من شك أن عطايا وإحسان الأمير طشتمر للحرافيش وعامة الشعب من الفقراء والمساكين بالأموال من ناحية، والكسوة وتوزيع الطعام عليهم من ناحية أخرى جعلته يكتسب ظهيراً قوياً بات مسانداً له في صراعه السياسي مع السلاطين؛ خاصة وأن السلطان الناصر محمد كان مشهوراً بتقلب مزاجه على الأمراء إما بالقتل أو السجن أو النفي، وكان طشتمر حمص أخضر من هؤلاء الأمراء الذين تعرضوا لبطشه؛ حيث أقدم الناصر محمد بن قلاوون على القبض عليه في عام 723هـ/1323م²⁴، إلا أنه سرعان ما أطلق سراحه في العام نفسه، وأنعم عليه بألفي دينار، وكثير من الغلال، بخلاف الخلع الثمينة من الثياب والحواس المزركشة، ثم أرسله إلى الحجاز نوعاً من طيب خاطر له²⁵، غير أن الناصر لم يلبث بعدها إلا قليلاً ثم قام بالقبض عليه مرة أخرى وأمر بنفيه، إلا أن شفاعة الأمير أرغون الناصري وضمائه إياه كانت كافية ليعدل السلطان عن قراره بعدم نفيه، إلا أن الناصر محمد أسرها في نفسه على حد قول المقريري²⁶.

زادت علاقة الأمير طشتمر حمص أخضر بالحرافيش وعامة الشعب وتوطدت أواصرها، ويبدو أن الناصر داخله الشك من ازدياد شعبيته هو وأخيه قطلوبغا الفخري²⁷، لذا أمر بالقبض عليهما مرة أخرى، وحبسهما في سجن قلعة الجبل بالقاهرة، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان؛ حيث ثار الحرافيش وعامة الشعب على الناصر محمد، ولم يكتفوا بذلك بل أقدموا على حصار قلعة الجبل بالآلاف منادين بإطلاق سراح طشتمر حمص أخضر من السجن²⁸؛ بل الغريب أن هؤلاء الحرافيش لم يتورعوا عن السخرية من السلطان الناصر ومخاطبته بما لا يليق؛ حيث كانوا يرددون عبارة (يا أعرج النحاس أخرجه)، ولم يجد الناصر بداً أمام هذا الزخم الشعبي ضده إلا أن يطلق سراحه، وبعد أن هدأت الأوضاع عاد السلطان بالقبض عليه مرة أخرى، وكرر الحرافيش والعامة ثورتهم مرة أخرى فأطلق سراحه مرة ثانية²⁹. وهو ما يشي بمدى قوة الطبقات الشعبية الدنيا وخطورتها إذا ما تجمعت ووحدت كلمتها ومطالبها وضغطها على السلطنة المملوكية.

وإذا ما بحثنا عن السبب الذي دعا الناصر محمد بن قلاوون إلى اعتقال الأمير طشتمر حمص أخضر وأخيه قطلوبغا الفخري بالرغم من منزلتهما الكبيرة لدى السلطان حيث كانا (بمحل الأولاد، يلاحظهم بعين التريبة والشفقة)³⁰، فيكفي ما ذكر المؤرخ المقرئ في حوادث عام 727هـ/1327م من أن الناصر محمد وصلت إليه رسالة مجهولة مضمونها تخطيط الأمير طشتمر حمص أخضر لاغتيال السلطان، إلا أن تدخل كبار الأمراء بالتهدئة، وعلى رأسهم سيف الدين تنكز³¹ نائب السلطنة بدمشق، وقاموا بتكذيب هذه الشائعات، ونصحوا الناصر بأن من أرسل له هذه الرسالة إنما يبغي الفتنة والوقية بين السلطان وبين أميريه طشتمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخري³².

على أية حال عقب ثورة الحرافيش والعامة على الناصر محمد وحصارهم لقلعة الجبل بالقاهرة بسبب طشتمر حمص أخضر وأخيه؛ أيقن الناصر مدى خطورتهم عليه خاصة وأنهما يستندان إلى ظهير شعبي كبير متمثل في أعداد غفيرة من الحرافيش والعامة المناصرين لهما، فبدأ بالتخطيط في إبعادهما عن مصر إلى الشام، إلا أن هاجس الخوف الذي سيطر على الناصر خوفاً من انقلاب أحد الأمراء على العرش دفعه إلى التفرقة بين الأخ وأخيه؛ حيث قبل شفاعته صهره تنكز نائب السلطنة بدمشق؛ بشرط أن يأخذ الأمير قطلوبغا الفخري معه إلى دمشق ناعثاً إياه (بالجنون)، بعد أن قام بترقيته إلى رتبة أمير مائة مقدم ألف³³، على أن يبقى طشتمر بالقاهرة في خدمة الناصر واصفاً إياه (بالعقل)، وظل طشتمر بقلعة الجبل محتفظاً بكل امتيازاته من رتبة الإمارة والإقطاع³⁴، إلا أنه كان تحت وصاية الناصر وأعينه التي تراقبه ليل نهار، وهذا ما جعل الأمير

طشتمر حمص أخضر يشعر بالريبة والخوف من غدر الناصر به في أي لحظة، ويبدو أن الناصر رويدًا رويدًا بدأ في الاطمئنان إلى أميره من جديد، وبدأت الثقة فيه تعود من جديد؛ فبدأت إنعامات السلطان تنهال عليه من الخلع والأموال والإقطاعات والارتقاء في رتب الإمارة المملوكية، بل وصلت ثقة السلطان به حدًا جعل الأمير طشتمر ضمن أربعة من كبار الأمراء الذين تركهم الناصر في قلعة الجبل بالقاهرة عام 732هـ/1332م لتنظيم وضبط أمور الدولة وذلك أثناء أداء فريضة الحج في بلاد الحجاز³⁵.

المرجح أن الناصر محمد تعامل بذكاء مع الأمير طشتمر حمص أخضر؛ حيث أدرك السلطان مدى قوته من خلال ظهوره الشعبي؛ وأيقن أنه إذا قام بنقله إلى بلاد الشام لاستطاع هناك أن يستميل عامة الناس للثورة على السلطان من ناحية، ومن ناحية أخرى لن يأمن الناصر رد فعل الحرافيش وعامة الناس في القاهرة؛ لذا رأى الناصر أن يستميل العامة والخرافيش إلى صفه وذلك بمعاملة أميرهم المفضل بما يليق بمكانته؛ وهذا ما يفسر حالة التغير التي حدثت في معاملة الناصر لطشتمر حمص أخضر حيث تبدلت من الشك إلى الاعتماد عليه والاستفادة من جهوده، وهذه هي سياسة الناصر في التعامل مع أمرائه المماليك حيث كان يسدد ويقارب فيما بينهم، وكان يعتمد إلى التخلص من الأمراء ذوي النفوذ داخل السلطنة.

المبحث الثاني. الأمير طُشْتُمَر (الإمارة والوظائف المملوكية):

من الثابت لدينا من خلال المصادر المملوكية أن الأمير طشتمر حمص أخضر ترقى في رتب الإمارة طويلاً منذ أن التحق في خدمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون؛ فكانت أول رتبة حصل عليها هي أمير مائة³⁶، ثم ارتقي منها إلى وظيفة الحجابة³⁷ حتى أصبح من جملة كبار الأمراء بمصر، وتبعًا لذلك شغل العديد من الوظائف المملوكية الكبيرة؛ مثل: نيابة السلطنة بصفد³⁸ التي تولاهما في عام 736هـ/1336م³⁹، ويبدو واضحًا أن إرساله من قبل الناصر محمد لتلك النيابة لم يكن صدفة؛ حيث أنعم عليه بالأموال الجزيلة وزاد في إقطاعه، وقام بترقية أولاده محمد وأحمد⁴⁰ في رتب الإمارة المملوكية، وطلب منه ألا يكون بينه وبين تنكز نائب الشام أي تواصل، وعليه أن يعلمه بكل صغيرة وكبيرة تُصدر عنه، وفي الوقت نفسه طلب السلطان من صهره الأمير تنكز معاملة طشتمر حمص أخضر بما يليق بمكانته، وأنه ما ولاه نيابة صفد إلا بناء على رغبته بالذهاب إلى بلاد الشام أسوة بأخيه قطلوبغا الفخري، لذا بدا واضحًا من استقرار الحوادث مدى تخطيط الناصر محمد للنيل من صهره تنكز باعتقاله والتخلص منه، ولم يجد شخصًا لتلك المهمة سوى طشتمر حمص أخضر⁴¹؛ وصرح الناصر بذلك قائلًا له: "ما أجهزك إلى الشام إلا لتقضي لي فيه شغلًا"⁴²، ويبدو

واضحًا من سياق الأحداث ونصوص المصادر المملوكية أنه كانت هناك جفوة ما بين طشتمر حمص أخضر وسيف الدين تنكز نائب دمشق، فبمجرد أن وصل إليه أمر الناصر محمد بالقبض على تنكز حتى ركب خيل البريد بصحبة بهادر الأوجاقي البريدي⁴³ وقطع المسافة من صفد إلى دمشق من وقت الفجر إلى أن وصل دمشق قبيل الظهر وهي مسافة مسير يومين، وقام باعتقال تنكز وإرساله مقيّدًا على خيل البريد إلى السلطان الناصر في قلعة الجبل بالقاهرة⁴⁴، والذي كافأه بأن خلع عليه في عام 741هـ/1341م بنبابة السلطنة بحلب، فشرع في عمارتها حتى تعلق أهلها بفترة وجوده فيما بينهم بعد أن غمرتهم مظاهر البذخ والترف⁴⁵. وبالرغم من حصر المصادر لبعض المنشآت المعمارية بصدد ذكر ترجمته إلا أنه مما يؤسف له عدم ذكر تفصيلات عنها، وقد تساهم التنقيبات الأثرية في هذا المجال لتساعد المؤرخين في كشف اللثام عن هذه العمائر التي قام بها هذا الأمير في حلب، وقد قام الباحث بحصر هذه الأعمال في ختام بحثه كما ضمنتها المصادر المملوكية.

حافظ الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى في نيابته لحلب على حدود الدولة المملوكية ضد أرتنا ملك الروم والأبلستين⁴⁶، ففي نفس عام توليه نيابة السلطنة بها وهو عام 741هـ/1341م أعلن زين الدين قراجا بن دلغادر⁴⁷ نائب الأبلستين تمرده ودخوله في طاعة أرتنا ملك الروم وأخذًا يخططان لدخول مدينة حلب، فقاما بتجهيز جيوشهم، فما كان من طشتمر حمص أخضر إلا أن أرسل البريد سريعًا إلى السلطان في مصر لنجدته بالعسكر المملوكي في مصر⁴⁸.

استمر طشتمر حمص أخضر في ممارسة سلطاته الواسعة داخليًا وخارجيًا في حلب بكل قوة؛ فكان سيقًا على رقاب الأمراء المتجبرين بها، فمثلاً حين قدم عليها قام بمعاينة شاد الدواوين بها الأمير بدر الدين الحلبي المعروف بغلام فندس⁴⁹، فسلمه حمص أخضر إلى بهادر الكركري⁵⁰ الذي قام بقتله جزاءً وفاقًا على ظلمه وجبروته مع أهل حلب⁵¹، ومما يُنسب له من أعمال البر في حلب أن أحد الشيوخ الصالحين في حلب ويدعى محمد بن نبهان⁵² الشيخ الزاهد العابد الورع؛ الذي كان مقيمًا بزاوية في بيت جبرين⁵³، وحين قدم حمص أخضر لحلب نائبًا اشترى أرضًا وقام بوقفها على زاوية هذا الشيخ الورع، بالإضافة إلى وقف جزء من قرية حريشان بحلب⁵⁴، إلا أنه على الجانب الآخر أدى ازدياد مكانته في حلب إلى إيغار صدور خصومه عليه، "فكثر الكلام في حقه، ووقعت له أمور أوجبت خروجه إلى بلاد الروم" على حد تعبير ابن تغري بردي⁵⁵ كما سيرد تفصيلًا في متن هذا البحث.

المبحث الثالث. الأمير طشتُمُر والصراع بين أولاد الناصر محمد:

ظل الأمير حمص أخضر يباشر مهام نيابة السلطنة في حلب إلى وفاة الناصر محمد بن قلاوون، واستمر في مباشرتها في عهد ابنه المنصور سيف الدين أبي بكر إلى أن خُلِع من السلطنة وجلس بدلاً منه أخوه علاء الدين كجك⁵⁶. ويرجح الباحث أن الأحداث السياسية في عصره أخذت منحىً جديدًا في التعامل مع الأمراء؛ وبخاصة الأمير طشتُمُر حمص أخضر، الذي وقع أسيرًا لتوازن القوى السياسية -عقب وفاة الناصر محمد- ما بين أمراء تصارعوا فيما بينهم لنيل الوصاية على أولاد الناصر محمد، هذا الصراع الذي انتهى بمقتل طشتُمُر على يد الناصر أحمد كما سوف نبين لاحقًا.

فالثابت أنه عقب وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدأ الصراع بين كبار الأمراء لنيل الوصاية على أولاده الذين دخلوا أيضًا في صراع بين بعضهم البعض للظفر بكرسي السلطنة؛ لذا بات معروفًا سلفًا مصير هؤلاء السلاطين والذي لم يخرج من بين العزل أو النفي أو السجن والقتل؛ لذا كان طبيعيًا ألا يلبث المنصور سيف الدين أبو بكر في سلطنته إلا شهرًا معدودة ثم خُلِع من السلطنة على يد أخيه كجك⁵⁷؛ الذي انقسم الأمراء المماليك في عصره إلى فريقين؛ الفريق الأول موالي للسلطان الأشرف كجك بزعماء الأمير قوصون⁵⁸ والأمير الطنبغا⁵⁹ نائب السلطنة بدمشق، وكان هدفه هو القبض على أخيه الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون والتخلص منه كي ينفرد بالحكم، وكان الناصر وقتذاك مقيمًا في قلعة الكرك ومطالبًا هو الآخر بأحقية في السلطنة⁶⁰، أما الفريق الثاني فكان بزعماء الأمير طشتُمُر حمص أخضر الذي راسله الناصر أحمد من الكرك يطلب نصرته ضد الفريق الأول، واستجاب بالفعل لرغبة الناصر، وأعلن موالاته له، بل وأخذ في حشد أمراء الشام لنصرته أيضًا⁶¹، وما إن بلغته الأخبار بمحاولة القبض على الناصر أحمد وهو بالكرك حتى ثارت حفيظته وشرع في إفشال هذا المخطط، فأعلن رفضه للتخلص من الناصر أحمد قائلاً: "هذا أمر ما أوافق أنا عليه أبدًا"⁶²، وأخذ طشتُمُر يذكر الأمراء بأنهم حلفوا يمين الولاء لأستاذهم الناصر محمد من قبل ولأولاده من بعده، وأن نيابة الكرك حق أصيل للناصر أحمد أعطاه إياه والده الناصر محمد، واستنكر إقدام الأمراء على خلعه من هذه النيابة، وتفاقم الوضع بعد أن جاهر طشتُمُر علنًا بموقفه المنحاز للناصر أحمد على حساب أخيه الأشرف كجك، وذلك بعد أن أرسل الكتب على خيل البريد إلى سائر الأمراء يستنكر فيها القبض على حريم الناصر أحمد وأولاده وإرسالهم تحت الإقامة الجبرية إلى مدينة قوص في صعيد مصر، كما رفض في الوقت نفسه شروع الأمراء في تجهيز الجيش المملوكي والإقدام على حصار قلعة الكرك وبها الناصر أحمد، لدرجة أن

قوصون قام بالقبض على البريدي الذي أرسله له حمص أخضر مستنكرًا عليه أفعاله ضد الناصر أحمد⁶³.

عقب هذا التمرد المعلن من قبل نائب السلطنة بحلب الأمير طشتمر حمص أخضر أخذ الأمير قوصون والأمير الطنبغا نائب السلطنة بدمشق في تجهيز الجيش المملوكي والزحف ناحية حلب لتأديب طشتمر والقبض عليه⁶⁴. وأغلب الظن لدى الباحث أن طشتمر كان بعيد النظر حيث رأى مدى تخاذل بعض أمراء حلب وتخليهم عنه؛ فعلم أنه لا قبل له بهذا الحشد الضخم من الجيش المملوكي القادم من مصر، فعزم على ترك المدينة والتخلي عن خزائنه كلها عدا ما خف حمله وغلا ثمنه من الذهب والفضة والأشياء الثمينة، وعبر حدود الدولة المملوكية مرورًا بمدينة الأبلستين، ثم قيصريّة⁶⁵، متوجهًا إلى بلاد الروم في وفادة صاحبها الملك أرتنا، ورغم هروبه إلا أن الجيش المملوكي جدّ في طلبه، وأرسل إلى البلدان التي مرّ عليها طشتمر في خط سيره، وهو ما عرّض حياته للخطر من قبل الحاميات العسكرية على طول الحدود التي أرادت النيل من حياته، إضافة إلى معاناته من أهوال الطقس السيء من ثلوج وأمطار وبرد، التي كادت أن تقضي عليه⁶⁶.

ظل الأمير طشتمر حمص أخضر في ضيافة أرتنا ملك الروم، وقراجا بن دلغادر نائب الأبلستين اللذين قاما بإجارته وحمايته، وظل عزيزًا مُكرّمًا عندهما، إلى أن تغير المشهد السياسي في الدولة المملوكية؛ حيث نال رفيق دربه أخوه الأمير قطلوبغا الفخري نيابة السلطنة بدمشق، واعتلى الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون كرسي السلطنة المملوكية بدلًا من كجك، لكن بات على الناصر أن يخرج من الكرك ليجلس على الكرسي فعليًا في قلعة الجبل بالقاهرة ليتم تدشينه سلطانًا رسميًا؛ بيد أنه في ظل سعادته بلقب السلطنة اشترط للجلوس على الكرسي في قلعة الجبل حضور الأمير طشتمر حمص أخضر من بلاد الروم، بعد أن علم بمناصرته له والدفاع عنه من قبل أخيه كجك وأميريه قوصون والطنبغا، فما كان من أخيه قطلوبغا الفخري نائب السلطنة بدمشق إلا أن أرسل أحد أمرائه الخواص على خيل البريد سريعًا إلى ملك الروم في عام 742هـ/1342م يطلبون منه بكل سبيل ممكن حضور الأمير طشتمر حمص أخضر، وأتت المراسلات ثمارها حيث حضر طشتمر وبصحبه قراجا بن دلغادر نائب الأبلستين إلى حلب ومنها إلى دمشق بأقصى سرعة⁶⁷.

اجتمع الجيش المملوكي في نيابة السلطنة بدمشق؛ تمهيدًا للزحف نحو القاهرة بعد أن علموا أن الناصر أحمد عزم على التوجه مباشرة من الكرك إلى القاهرة، في مشهد مُكرر أعاد للذاكرة عودة والده الناصر محمد بن قلاوون من الكرك إلى القاهرة في عام 709هـ/1310م في مطلع سلطنته

الثالثة، بعد أن تحقق له النصر على السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير⁶⁸ ونائب السلطنة شمس الدين سلار⁶⁹.

وتبعًا لذلك خرج الجيش المملوكي بقيادة الفخري وحمص أخضر من دمشق ودخل القاهرة والتقى بالسلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون، وقاموا بتمكينه من كرسي السلطنة، وقام قادة وأمراء الجيش بمصر والشام وقضاة مصر والشام الأربعة والخليفة الحاكم بأمر الله بالخلف له، فكان يومًا مشهودًا "قلَّ أن وقع في مصر مثله"⁷⁰، وأنعم السلطان الناصر أحمد على الأمير طشتمر حمص أخضر بنيابة السلطنة بالديار المصرية، وبخلعة نقدية أخرى قيمتها عشرة آلاف دينار لدوره الكبير في مناصرته⁷¹.

المبحث الرابع. مقتل الأمير طشتمر وأهم أعماله الحضارية:

وصلت سطوة ونفوذ الأمير حمص أخضر حدًا كبيرًا في سلطنة الناصر أحمد لدرجة جعلته يظن أنه مهيمن على السلطان؛ بحيث أصبح الناصر كالحجور عليه من حمص أخضر، وأنه لا ناقة له ولا جمل، إلا أن الرياح أته بما لا تشتهي السفن؛ حيث أقدم السلطان في نهاية المطاف على عزله عن نيابة السلطنة بمصر والقبض عليه في نفس عام توليته هذا المنصب وهو عام 742هـ/1342م⁷² بعد أن مكث في منصبه - على أرجح أقوال المصادر التي ترجمت له - خمسة وثلاثين يومًا.

الجدير بالذكر أن المصادر المملوكية ذكرت الأسباب التي أدت إلى انقلاب الناصر أحمد على الأمير طشتمر حمص أخضر الذي ناصره بقوة لنيل كرسي السلطنة ضد أخيه كجك والأمير قوصون؛ وقبل سرد هذه الأسباب لابد من ذكر أن الأمير طشتمر دفع حياته ثمنًا لتوازن القوى الذي حدث عقب وفاة السلطان الوالد الناصر محمد بن قلاوون، حيث نشب الصراع بين أولاد الناصر، وساعد على اشتعال هذا الصراع كبار الأمراء المماليك الذين مال بعضهم لأحد أبناء الناصر محمد على حساب البعض الآخر، وهو ما خلق تيارات متصارعة على كرسي السلطنة، هذا الصراع كان هو اللبنة الحقيقية في نهاية الأمير طشتمر، أما المصادر المملوكية فكان لها رأي آخر في ذكر أسباب نقمة الناصر أحمد على الأمير طشتمر، ولعل أبرز هذه الأسباب قوة شخصيته التي جعلته دائمًا معارضًا للناصر أحمد لدرجة أنه كان يرد مراسيمه ويتعالى على كبار الأمراء؛ زد على ذلك استهائته بالسلطان إلى حد أن الناصر أحمد حينما كان يُرسل إلى طشتمر حمص أخضر رقعة تتضمن الإنعام على أحد الأمراء بإقطاع ما، كان يستولي على الإقطاع لنفسه ويقوم بطرد صاحبه، بل وصل الأمر بالأمير طشتمر أنه كان يشترط على السلطان الناصر عدم التوقيع على المناشير

والمراسيم إلا التي يختارها بنفسه، وهنا تأتي القشة التي قصمت ظهر البعير في العلاقة بين السلطان وأميره؛ حيث حدث أن خلع الناصر أحمد على الأمير ناصر الدين المعروف بفأر السقوف بأن جعله إمامًا للسلطان يصلي به، وجعل له الإشراف على مشهد السيدة نفيسة دون علم الأمير طشتمر، الذي ما إن علم بذلك حتى أحضر الأمير فأر السقوف وقام بضربه وهو عار من ملابسه، ونزع عنه الخلعة وألزمه بدفع غرامة مقدارها مائة ألف درهم⁷³، أضف إلى ما سبق أن أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال في مصر باتوا على بابهم يخطبون ودّه بالهدايا والتحف؛ وهو ما جعله ينفرد بكل أمور الدولة، وزادت نقمة السلطان الناصر عليه حين حال بينه وبين دخول أهل الكرك عليه، وحجبهم عنه رغم ما لهم في قلبه من مكانة كبيرة، ومن هنا بدأت الكراهية تتسلل إلى نفوس الناس من ناحيته، وبدا واضحًا أن نجمه بدأ في الأفول⁷⁴.

كان طبيعيًا للأسباب سالفة الذكر أن يقوم الناصر أحمد بسرعة القبض عليه ومصادرة جميع أمواله وممتلكاته وحواصله، بل وإيداع ممالكه داخل سجون قلعة الجبل بالقاهرة، ثم ما لبث السلطان أن قام بتقييده بالسلاسل وحمله على المحفة لمرضه الشديد من القاهرة إلى الكرك بصحبة السلطان نفسه⁷⁵، حيث تم إيداعه سجن الكرك هو وأخيه قطلوبغا الفخري، وأراد الناصر أن يقتلها جوعًا؛ فمنع عنهما الطعام مدة يومين؛ إلا أنهما استغلا خروج السلطان في رحلة صيد، وقاما بكسر باب السجن، وحينما هما بالهرب لمحهما حارس السجن فأخذ في الصياح حتى تكاتف الجنود وقاموا بالإمساك بهما، وعلم السلطان بخبر محاولة هروبهما فأتى من رحلة صيده بملابس العربان وفي يده حربة، وكانت الجروح تغطي وجهيهما، وأخذ الناصر يسبهما بأقذع الألفاظ وهما يردان عليه بالمثل، فأمر بضرب رقبتيهما في مطلع شهر المحرم عام 743هـ/1342م⁷⁶، ولم يكتف الناصر بقتله ومصادرة أملاكه؛ بل عمد إلى حريم طشتمر حمص أخضر في حلب فاستولى على ما معهن قبل أن يخططن للهروب من حلب، لدرجة أنه لم يترك لكل واحدة من حريمه إلا قميصًا وسروالًا فقط، فكان ذلك في غاية الذلة والمهانة⁷⁷. غير أن المؤرخ المقرئ يظالعنا بأن الناصر ندم على فعلته بقتل هذين الأميرين؛ بعد أن تذكر فضلهما عليه في ظفره بعرش السلطنة المملوكية من أخيه كجك؛ لذا أرسل كتابًا من الكرك إلى القاهرة بصحبة البريدية كان مضمونه الاعتذار عن قتل الفخري وحمص أخضر، بل وزهد منصب السلطنة وأقر بأنه لا رغبة له في الملك بعد اغتيالهما⁷⁸، وقرر بالفعل الاستعفاء من منصب السلطنة؛ مثلما فعل والده الناصر محمد بن قلاوون أيضًا في عام 708هـ/1308م⁷⁹. إلا أن الباحث لا يميل لرأي المقرئ؛ فالسلطة لا تعرف الندم أو الاعتذار، وإذا أقدم الناصر أحمد على هذا الفعل فهو من باب الترضية والتهدة فقط لا غير خاصة في هذا

الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين الأمراء والأبناء، غير أن الجدير بالملاحظة هنا هو اختفاء الظهير الشعبي في محنة طشتمر مع الناصر أحمد عما كان عليه في عصر والده الناصر محمد بن قلاوون؛ ويرجح الباحث أن تسارع الأحداث بين طشتمر والناصر أحمد جعله يُقدم على التخلص منه سريعاً، على العكس من والده الناصر محمد الذي أودعه السجن فترة طويلة وكان رد الفعل الشعبي سريعاً أيضاً بنصرته، كما يرجح الباحث أيضاً اختلاف شخصية الوالد الناصر محمد عن الابن الناصر أحمد في التعامل مع الأمراء، أضف إلى هذا وذاك ظروف اختلاف العصر واشتعال الصراع بين الأمراء من ناحية وأولاد الناصر محمد من ناحية أخرى عما كان عليه الوضع في عصر الوالد الناصر محمد بن قلاوون.

ولنا أن نتساءل هل انقطع ذكر الأمير طشتمر حمص أخضر من المصادر المملوكية عقب مقتله عام 743هـ/1342م؟ والإجابة فيما أوردته المصادر أن اسمه ظل يرد داخل سياق الأحداث المملوكية، ولكن فيما يخص أولاده؛ فالأمير طشتمر حمص أخضر كان له ولدان؛ أكبرهما هو الأمير ناصر الدين محمد الذي نشأ وترى في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقام بترقيته إكراماً لوالده إلى رتبة أمير طبلخانة⁸⁰، وظل ناصر الدين مصاحباً لوالده في الوظائف التي تقلدها مثل نيابة السلطنة بصغد، التي أهلته لاكتساب الخبرة، وأن يتبوأ مكانة مرموقة في حياة والده⁸¹.

ومن المرجح أن السلطان الكامل شعبان الذي تقلد السلطنة عقب أخيه الناصر أحمد أراد أن يكرم الأمير طشتمر حمص أخضر في شخص ابنه؛ فأصدر مرسوماً بترقية ناصر الدين إلى رتبة مقدم ألف، وهي من أرفع رتب الإمارة التي تمنح لكبار أمراء المماليك⁸². أما الابن الثاني للأمير طشتمر حمص أخضر فلم يتمتع بنفس مكانة أخيه الأكبر، وإن طالعنا المصادر المملوكية بأنه في زمن السلطان المملوكي الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون⁸³، انتهى به المطاف منفياً إلى مدينة طرابلس عام 755هـ/1354م⁸⁴، والمؤسف أن المصادر لم تستفص في الحديث عن أولاد طشتمر مثلما أفاضت في الحديث عنه، فعلى حين خصصت كتب الطبقات والتراجم المملوكية ترجمة خاصة للحديث عن الوالد إلى مقتله في عصر الناصر أحمد، لم تتعرض هذه المصادر لذكر أية تراجم تفصيلية عن أولاده، وكل ما ورد في الحديث عنهم بعض الإشارات المعدودة التي أوردها الباحث في طيات هذا البحث، ويرجح الباحث أن مكانة الأبناء لم تكن بنفس مكانة والدهم، وتأثيرهم في مجريات الأحداث لم يكن أيضاً كوالدهم؛ لذا تغافلت المصادر في ذكر التفاصيل عنهم.

أما عن الأعمال الحضارية والعمرانية التي خلدت اسم هذا الأمير عبر تاريخ دولة المماليك البحرية؛ فقد طالعنا المصادر بقيام الأمير طشتمر حمص أخضر ببناء بعض العماثر، إلا أنه مما

يؤسف له أن المصادر لم تذكر تفاصيل عنها سوى حصرها فقط وهو ما يحتاج إلى المزيد من التنقيبات الأثرية في المناطق التي أوردتها المصادر للكشف عن تخطيطها المعماري؛ فمن أعمال هذا الأمير أنه بنى ربيع- حي- بجوار منطقة حدرة البقر⁸⁵، في موضع يسمى الحريريين⁸⁶ قيل عنه "إنه لم ير أحد مثله"⁸⁷، كما شيد أيضًا جامعًا في الصحراء⁸⁸، وبنى به مئذنة عرفت بالمئذنة الحلزون، بالإضافة إلى تشييده حمامين من أروع الحمامات في منطقة الزريبة بالقاهرة⁸⁹، وحمّامًا آخر أيضًا في مدينة صفد أثناء توليه نيابتها⁹⁰، وكان من ممتلكاته المعمارية في القاهرة أيضًا إسطنبول لخيوله يضاهاي إسطنبول الأمير قوصون⁹¹، ناهيك عن البستان الذي يُعد غاية في الحسن والجمال بموقعه المميز الذي يطل على النيل، والذي كان ملكًا للقاضي ابن المغربي⁹² رئيس الأطباء بمصر آنذاك، فاشتره طشتمر حمص أخضر بمبلغ مائة ألف درهم فضة⁹³.

زد على ما سبق، الدار التي كان يقطنها في القاهرة بمنطقة حدرة البقر وهي في غاية الجمال، وكانت ملكًا للأمير طقتمر الدمشقي⁹⁴، وعقب وفاته أنعم بها الناصر محمد على طشتمر حمص أخضر فزاد في مساحتها وبالع في عمارتها⁹⁵، لدرجة أن هذه الدار ظلت موجودة إلى زمن المؤرخ المقرئ الذي أكد أنها ظلت باقية إلى عصره، وينزلها أمراء الدولة⁹⁶، كذلك كان للأمير طشتمر حمص أخضر بستان بجزيرة الفيل، اشتراه من ابن المغربي بمبلغ تسعين ألف درهم⁹⁷.

وكما عمّر الأمير طشتمر حمص أخضر لندياه فلم ينس آخرته؛ حيث بنى تربته في القاهرة في المكان الذي كان يعرف (بميدان القبق أو ميدان العيد، أو الميدان الأسود)⁹⁸، وهو الميدان الذي يقع ما بين قلعة الجبل إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر⁹⁹، وظلت هذه التربة على عمارتها إلى زمن المماليك الجراكسة أيضًا مثل باقي عمائرهم، بالإضافة إلى أنه أثناء نيابته للسلطنة بصفد أصيب بمرض ورأى أن الموت قريب منه؛ فبنى له قبرًا في مغارة نبي الله يعقوب عليه السلام- على حد ذكر المصادر- إلا أن طشتمر عوفي من مرضه ولم يُكتب له الدفن به، فدفن فيه الأمير سيف الدين الأشرفي الحاجب¹⁰⁰. ويبدو من قول ابن حجر والسخاوي أن تربة الأمير طشتمر حمص أخضر كانت من المؤسسات التعليمية للصبية حيث كان ملحقًا بها كتاب لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم

الخاتمة:

أولاً: كشفت الدراسة عن شخصية من الشخصيات المملوكية المحورية وهي شخصية الأمير طشتمر حمص أخضر؛ الذي أطلق عليه هذا اللقب نوعًا من المدح له، ودليلاً على عطائه وكرمه مع الطوائف الشعبية الدنيا في المجتمع المملوكي مثل: الحرافيش والعامة، والأيتام والفقراء وغيرها.

ثانيًا: أثبتت الدراسة دور الرأي العام في فرض كلمته وإبراز قوته؛ فحينما تعرض الأمير حمص أخضر للتنكيل والسجن من قبل السلطان الناصر محمد، وجدنا الظهير الشعبي الذي استند عليه من الحرافيش والعامّة خير داعم له في أزمتته؛ ولم يكتثروا لسطوة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بل قاموا بحصار قلعة الجبل وتوبيخ الناصر في هتافاتهم، واستطاعوا أن يفرضوا مطالبهم عليه، وهو ما جعل الناصر يتعامل بذلك مع هذا الوضع السياسي الطارئ للخروج من أزمة من الممكن أن تعصف بعرشه، فوجد أن اكتساب هذا الظهير الشعبي في صفه هو دعم لبقائه في السلطة؛ لذا انقلبت معاملته مع أميره من البطش والتنكيل إلى منحه رتب الإمارة وتقليد الوظائف المملوكية، بحيث صار الأمير طشتمر حمص أخضر من أبرز الأمراء الأوفياء للسلطان الناصر وأولاده.

ثالثًا: أبرزت الدراسة الدور البارز الذي لعبه الأمير طشتمر حمص أخضر في صراع الأبناء على عرش السلطنة عقب وفاة الناصر محمد بن قلاوون عام 741هـ/1341م، والذي انتقل بدوره إلى صراع بين كبار الأمراء لنيل الوصاية على هؤلاء السلاطين الصغار؛ وهنا تبرز قيمة يمين الولاء من طشتمر حمص أخضر للناصر محمد بن قلاوون؛ حيث تحدى السلطان علاء الدين كجك وأميره قوصون بعد أن مال ناحية تمكين أخيه الناصر أحمد الذي كان مقيمًا بالكرك، واستطاع بمناصرته له أن يُقلده منصب السلطنة.

رابعًا: أوضحت الدراسة أن الأمير طشتمر راهن على الجواد الخاسر، فبمجرد أن ساعد الناصر أحمد في التمكين من كرسي السلطنة انقلب السلطان عليه وعلى أخيه، وبينت الدراسة الأسباب التي أوردتها المصادر المملوكية التي استوجبت اعتقال طشتمر والتخلص منه؛ كما لفتت إلى اختفاء الظهير الشعبي في مناصرته عما كان عليه في عصر الوالد الناصر محمد، ورجح الباحث اختلاف الطبيعة الشخصية للناصر محمد عن ابنه الناصر أحمد، بالإضافة إلى اختلاف ظروف العصر عقب وفاة الناصر محمد بعد اشتعال الصراع بين الأبناء من ناحية والأمراء الكبار من ناحية أخرى.

خامسًا: كشفت الدراسة عن بعض الأعمال الحضارية ومظاهر العمران التي خلدت اسم الأمير حمص أخضر عقب مقتله 743هـ/1342م، ما بين جوامع، وحمامات، وزنّج، واسطبلات، وبساتين، ودور حسان، وتربة أوردتها المصادر المملوكية، وكان ملحقاتها مؤسسة تعليمية للأطفال وهي الكتاب لتحفيظ الصبية القرآن الكريم.

حواشي البحث:

* أستاذ مشارك تاريخ العصور الوسطى، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب.

1 عاصر هذا الأمير العديد من سلاطين المماليك، وبالغت المصادر في ذمه لقبح سيرته، وتولى العديد من المناصب الحيوية مثل: الحسبة، وكان ضامناً مالياً للعديد من الجهات في مصر، وسُجن أكثر من مرة. انظر: الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر، ج1، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، بيروت 1998م، ص364؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت 1997، ص424؛ ج4، ص107، 117.

2 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص586. ذكر ابن بطوطة اسمه (طشت)، انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، الرباط 1417هـ، ص214.

3 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص587.

4 ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص214.

5 ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة 1986، ص46.

6 ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج3، ص46؛ درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 6170 تاريخ، ورقة 168.

7 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت 2000م، ص251؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج9، وزارة الثقافة والإرشاد القاهرة (ب.ت)، ص147. وأضاف الصفدي أن حمص أخضر تعرض كثيراً للمرض وعوفي أكثر من مرة؛ منها أن المرض الذي أصابه لفترة طويلة لعل في بطنه، فأخذه الأمير الطنبغا وذهب به إلى صعيد مصر، ومنعه من أكل الخبز حتى عادت معدته للهضم بانتظام، وبدأ في ممارسة حياته في رتب الإمارة المملوكية.

8 السلوك، ج2، ص481.

9 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص590-591؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص254؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج6، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عاشور، القاهرة 1431هـ، ص393. امتدحه أيضاً بماء الدين الرهاوي هو وأخيه قطلوبغا الفخري بقوله:

قد أقبل الفخري في موكب أعاده الله من العين

والحمص الأخضر في فرحة لأجلها صار بقلبين

انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص591.

10 الشونة هي عبارة عن المخازن المخصصة للغلال والأخشاب والأتبان، وهي بخلاف الأهراء. انظر: محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة 1983، ص208.

11 اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت 1986، ص299؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص200.

12 الجدير بالذكر أن المؤرخ العراقي ذكر أن هناك أميراً آخر أُلقب بلقب حمص أخضر وهو الأمير كمشبغا ابن عبد الله الشرفي طشتمر، وذكر أنه توفي في مدينة منفيلوط بصعيد مصر في عام 761هـ/1362م، ثم حمل جثمانه ودفن في القاهرة، كما ذكر أنه تولى وظيفة شاد الدواوين بالقاهرة، كذا يبدو من ترجمته أنه كان أحد المحدثين، ويرجح الباحث أن لقب حمص أخضر قد يكون التصق به أيضاً لحبه لأكل الحمص الأخضر مثل الأمير محل الدراسة. انظر: العراقي، الذيل على ذيل العبر، تعليق: أحمد عبد الستار، دار الذخائر 2019م، ص 227.

13 الصفدي، أعيان العصر، ج 2، ص 587؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 2، حيدر آباد الهند 1972، ص 219.

14 هي ثكنات المماليك العسكرية في قلعة الجبل، وأيضاً بيوت سكن يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان المملوكي، وفيها يهتم السلاطين بتعليم المماليك وتثقيفهم منذ صغرهم، فيتعلمون فنون الحرب والقتال والفروسية، إلى أن يتخرجوا منها ويرتقوا في رتب الإمارة، وكان الأمير طشتمر حمص أخضر من الأمراء الذين سكنوا طبقة أرغون الدوادار في القلعة. انظر للمزيد عن الطباقي: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد كمال الدين، بيروت 1988، ص 136؛ الصفدي، أعيان العصر، ج 2، ص 587؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص 228؛ محمود نديم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة 1983، سلوى رشيد إسكندر، التاريخ السياسي والعسكري للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية العلوم الإنسانية جامعة دمشق 2009م، ص 47؛ ياسمين علي، نظام الطباقي في قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب عين شمس 2021م، ص 49.

15 الصفدي، أعيان العصر، ج 2، ص 587، والخشداش لفظ فارسي مُعرب من اللفظة خواجه تاش أي الزميل في الخدمة، والخشداشية في عصر المماليك هم الأمراء الذين نشأوا بمماليك عند سيد واحد، فنبتت بينهم رابطة الزمالة. انظر للمزيد: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص 120.

16 عرف ابن بطوطة الحرافيش بأنهم "طائفة كبيرة أهل صلابة وجوه دعارة"، ولهم جرأة وجسارة على الحكام والأمراء، انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 214.

17 محمد رجب النجار، الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك، مجلة عالم الفكر، م 14، العدد الأول 1984، ص 809؛ محاسن الوقاد، الألقاب والكنى الشعبية الساخرة في عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م)، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد الثاني 2002م، ص 119.

18 ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 214؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج 3، ص 46؛ نظير حسان سعداوي، صور ومظالم من عصر المماليك، القاهرة 1966، ص 123.

19 الصفدي، أعيان العصر، ج 2، ص 586. وعن صفات طشتمر حمص أخضر انظر أيضاً: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 394.

20 أمين الدين المعروف بكاتب بكتمر ناظر الجيش، كان يهودياً سامرياً من جملة كتاب دمشق، وخدم بديوان الأمير بكتمر الحاجب بدمشق، وقدم معه إلى القاهرة، فأسلم وتلقب بأمين الدين، واعتمد عليه بكتمر حتى تم القبض عليه، فانتقل لخدمة ديوان بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى أن مات، ثم انتقل لخدمة طشتمر حمص أخضر

فأحكم ديوانه وقام بضبطه، وظل ينتقل في الخدمة بين الأمراء حتى مات عام 754هـ. انظر للمزيد: المقرئزي، المقفى الكبير، ج1، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامى ببيروت 2006، ص205؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص89.

21 الأمير جمال الدين الحسامى، كان من جملة ممالىك الأمير حسام الدين طرنطاي، وترقى في رتب الإمارة حتى أنعم عليه بأمر عشرة، ثم أمير طبلخانة في عام 696هـ، ثم تولى وظيفة أمير أخور الإسطل السلطاني عام 697هـ، وتولى العديد من نيابات السلطنة مثل: نيابة غزة ونيابة صفد، وتم اعتقاله في عام 715هـ في سلطنة الناصر الثالثة، ثم خرج من السجن وأكرمه الناصر محمد وأنعم عليه برتبة مقدم ألف وظل مكرماً إلى أن توفي في عام 728هـ. انظر: المقرئزي، المقفى الكبير، ج2، ص268-269.

22 هو الحاكم ببلاد الروم من جهة خان المغول بوسعيد كاتب السلطان الملك الناصر بعد وفاة بوسعيد وقال أريد أكون نائبك فأجابته إلى ذلك وبعث إليه الخلع السنية ثم كتب إليه نائب السلطنة الشريفة بالبلاد الرومية ولم تزل رسله تترد إليه إلى آخر وقت ووقع بينه وبين أولاد تمرتاش فجمعوا له العساكر وجاءوا إليه ومعهم القان سُلَيْمَان فهزمهم. انظر للمزيد عنه في ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص219.

23 المقرئزي، المقفى الكبير، ج1، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت 2006، ص205.

24 المقرئزي، السلوك، ج3، ص66.

25 المقرئزي، السلوك، ج3، ص71.

26 المقرئزي، المقفى الكبير، ج2، ص16.

27 سيف الدين الساقى الناصري المعروف بالفخري كان من أكبر ممالىك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من رفعة الأمير سيف الدين أرغون الدودار، ولم يكن لأحد من الخاصكية ولا من غيرهم مثلما له على السلطان، ولا فيهم من يكلمه بكلامه ويرد عليه الأجوبة الحادة المرة وهو يحتمله. انظر ترجمته في الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص112-113؛ الوافي بالوفيات، ج24، ص191.

28 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص587؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص251؛ هالة السيد محمد، المهمشون في مصر عصر سلاطين الممالىك (923-648هـ / 1250-1517م)، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 50، 2020، ص200؛ عامر نجيب موسى، الحرافيش زمن الممالىك، القاهرة 2021م، ص13.

29 ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، الرباط 1417هـ، ص214؛ عامر نجيب موسى، الحرافيش زمن الممالىك، ص14.

30 ابن الدوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج9 (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق: هانس روبرت روير، القاهرة 1960، ص343.

31 تنكر، سيف الدين أبو سعيد الأشرفى الناصري، نائب السلطنة بدمشق جلبه الخواجا علاء الدين السيواسى وهو من ممالىك السلطان الأشرف سمع صحيح البخاري غير مرة من ابن الشحنة، ارتقى في سلم الإمارة حتى أنعم عليه الناصر محمد بنبابة السلطنة بدمشق، وتميزت فترته بالازدهار حتى قُتل عام 740هـ/1340م. انظر ترجمته في: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص116-126.

- 32 المقرئزي، السلوك، ج3، ص97 والفخري هو الأمير قطلوبغا سيف الدين الساقى الناصري، ذكر الصفدي عنه إنه أخو الأمير طشتمر حمص أخضر. انظر بالتفصيل ترجمته في: الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص112-115؛ الوافي بالوفيات، ج24، ص191.
- 33 هم الأمراء رؤساء مقدمي الألوف، وكانوا يتولون الوظائف الكبرى في الدولة والبلاط، وللواحد منهم التقدمة على ألف فارس فما دونه من الأمراء. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، القاهرة (ب.ت)، ص14.
- 34 ابن الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص343.
- 35 ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، دمشق 2017م، ص691؛ الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص617؛ ج2، ص587؛ الوافي بالوفيات، ج9، ص213؛ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج4، ص107؛ المقفى الكبير، ج2، ص166؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص488؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص90.
- 36 هي رتبة حربية خاصة بأرباب السيوف، ويكون في خدمة صاحبها مائة من المماليك، ويكون مقدمًا في الحرب على ألف جندي من أجناد الحلقة. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص50-51.
- 37 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص251. والحجابه هي من الوظائف المعروفة في القرون المبكرة للتاريخ الإسلامي، والحاجب هو الشخص المكلف بحفظ باب الخليفة للاستئذان عليه، ثم تطورت في العصر المملوكي وأضيف لصاحبها النظر في المظالم، إضافة إلى حجب السلطان عن الرعية فلا يدخل إليه إلا من يريد السلطان رؤيته. انظر للمزيد عن هذه الوظيفة: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص273؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، ليدن 1893، ص114؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص101، 102.
- 38 صفد هي إحدى مدن شمال فلسطين الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتقع في منطقة الجليل، وتعد صفد من أكثر المدن ارتفاعًا عن سطح البحر، حيث يبلغ ارتفاعها عن السطح حوالي تسعمئة متر، وتبعد عن مدينة القدس باتجاه الشمال حوالي مئة وأربع وثلاثين كيلو مترًا، وتُطلّ مدينة صفد على بحيرة طبريا، وبيسان الواقعتين جنوب شرق المدينة، وأيضًا تُطلّ على جبل جرمق الواقع إلى الغرب منها.
- 39 ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص719؛ ابن العراقي، الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، بيروت 1989م، ص189؛ الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص302، 565؛ ج5، ص665؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص251؛ ابن حبيب، تذكرة النبي في أيام المنصور وبنه، ج2، ص276؛ درة الأسلاك، ص165؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج2، ص194؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص392؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج1، تحقيق: فهم محمد شلتوت، القاهرة 1983م، ص164.
- 40 لم تفرد المصادر المملوكية ترجمة مستقلة عن أولاد طشتمر، واكتفت بالإشارة إلى إنعام السلاطين عليهم برتب الإمارة المختلفة.

41 ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص768؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص321، 343؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت 1973، ص254؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، المطبعة الحسينية القاهرة (ب.ت)، ص133؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص189؛ ج16، ص218؛ أعيان العصر، ج2، ص588؛ ابن الوردي، تنمة المختصر في أخبار البشر، ج2، بيروت 1996م، ص318؛ المقرئزي، السلوك، ج3، ص205؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص159؛ النجوم الزاهرة، ج9، ص148.

42 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص588؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص252.

43 الأمير سيف الدين الأوشاقي الناصري المعروف بحلاوة، وكان إذا ساق في البريد وجاء إلى مركز قال للسواق أو لأحد من غلمان البريد: تأكل حلاوة؟ فإذا قال: نعم ضربه بالسوط الذي معه، فسموه بهادر حلاوة، وتولى منصب مقدم البريدية. للمزيد عنه انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص65-66.

44 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص588-589؛ شوكت رمض، عثمان إسماعيل، المدرسة التنكزية في القدس 730هـ/1329م، أنقرة 2015م، ص83.

45 أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص135؛ ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص777؛ الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص586؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص252؛ ابن الوردي، تنمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص320؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ج5، تحقيق: سهيل زكار، بيروت 1981م، ص506؛ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج4، ص104؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص392؛ النجوم الزاهرة، ج10، ص102.

46 ذكرت المصادر أنها بلد الإمبراطور دقيانوس (دقلديانوس)، وبها آثار عجيبة وعمارة قديمة، وإلى الغرب منها تقع بلدة الكهف التي يُقال إنها منسوبة إلى أهل الكهف، وبها حدثت المعركة الكبرى بين الظاهر بيبرس وسلاجقة الروم عام 675هـ/1276م. انظر: الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423هـ، ص56؛ سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب القاهرة 1983، ص68.

47 الأمير زين الدين النائب بالأبلستين كان من أمراء التركمان، وارتمى إلى الأمير سيف الدين تنكر وانتفى إليه، فأقامه وأحبه وعظمه، وكان ميله إليه أحد الأمور التي نقمها السلطان على تنكر لأنه كان يراجعه في أمره كثيرًا، ويقول له: اعزله عن الأبلستين، فراجعته في أمره، لأن ابن دلغادر كان الواقع بينه وبين الأمير أرتنا حاكم البلاد الرومية، ولما هرب الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر نائب حلب المحروسة توجه إليه. انظر للمزيد عن ترجمته في الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص83.

48 المقرئزي، السلوك، ج3، ص335؛ المقفى الكبير، ج2، ص151؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص11.

49 وصفته المصادر بأسوأ الصفات حيث وسمته بأنه كان جبارًا خوائًا أثيمًا خوارًا خداعًا غدارًا مكارًا غرارًا، حقوقًا حسودًا، عنيدًا، وأنه لو عاصر الحجاج لم يدعه يفرج بإمرة الكوفة، ندبه السلطان الناصر للعديد من

الأماكن في حلب وولاه شد الدواوين بمصر، وتوفي عام 742هـ/1342م. انظر للمزيد عنه: الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص183-184.

50 بهادر الأمير سيف الدين ابن الكركري عهدي به وهو مشد الدواوين بحمص في أيام الأمير سيف الدين تنكز ثم نقل إلى شد الدواوين بصغد وولاية الولاية بها بطبلخانا. انظر للمزيد: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص63؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص188.

51 الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص183-186؛ الوافي بالوفيات، ج24، ص310؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج5، ص13؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص319. تذكر المصادر أن الكركري كان كثير الغبن ضد حمص أخضر، ولما تولى حمص نيابة حلب لم يستطع أن يفعل له شيئاً لأنه كان يستقوى بتنكز نائب دمشق، فلما تم اعتقاله وقتل عام 740هـ/1340م، شفع طشتمر فيه وولاه شاد الدواوين بحلب وأكرمه، ولما خرج حمص أخضر من حلب إلى بلاد الروم نسي الكركري إحسانه إليه، ولما عاد من بلاد الروم اعتقله، وظل حتى قتل حمص أخضر عام 743هـ/1343م. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص188.

52 وصفته المصادر بالشيخ الصالح الزاهد العابد الورع القدوة شيخ البلاد الحلبية، انقطع للعبادة والزهد وكانت له زاوية في مدينة بيت جبرين وكانت له كرامات ومكاشفات، وقد أكرمه الأمير طشتمر وبني له زاوية خاصة به وتوفي في عام 744هـ/1344م. انظر ترجمته في الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص292-293.

53 يقال لها أيضاً جبريل، وهي بلدة بين بيت المقدس وغزة، وبينه وبين القدس مرحلتان، وبين غزة أقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الصليبيين، وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادي التملة التي خاطبت سليمان بن داود، عليه السلام، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص519.

54 أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص141؛ ابن الوردي، تنمة المختصر، ج2، ص327؛ الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص292-293؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج6، ص26.

55 المنهل الصافي، ج6، ص392.

56 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص589.

57 تولي السلطنة في عام 742هـ/1342م عقب خلع المنصور سيف الدين أبي بكر بن الناصر محمد بتخطيط من الأمير قوصون وكان عمره وقت جلوسه على تخت السلطنة خمس سنوات، وصار قوصون هو الأمر الناهي في دولة كجك. انظر ترجمته في: الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص148-149.

58 هو الأمير الكبير النائب سيف الدين الساقى الناصري، تمتع بمكانة كبيرة في دولة الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، وحاز من الرتب المملوكية أعلاها، وجمعت له الخزائن الكثيرة، إلا أن الأمراء تكاتفوا ضده " وقبض عليه ونهبت أمواله، وفرق رجاله، وخرجت عمائره وأوقافه، وانحالت كتبه وأحقافه، وأصبح لعدوه رحمه، وصار بينه وبين الفرج زحمة، واعتقل بنغر الإسكندرية إلى أن خنق في عام 742هـ/1342م". انظر ترجمته في: الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص136-137.

59 هو الأمير علاء الدين الحاجب الناصري، ولاء الناصر محمد نيابة حلب، عام 727هـ/1327م، وكان من كبار الأمراء الذين اشتركوا في القبض على الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، ثم تولى نيابة الشام بدلاً منه. انظر ترجمته في: الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص600-601.

60 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص589.

61 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص350؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، ج1، تحقيق: محمد كمال الدين، بيروت 1985، ص387؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ج2، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية القاهرة 1431هـ، ص74؛ المنهل الصافي، ج2، ص160؛ النجوم الزاهرة، ج10، ص29.

62 الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص371؛ ج2، ص589.

63 الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص371؛ ج2، ص589؛ الوافي بالوفيات، ج8، ص57؛ ج16، ص253؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص345-348؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص31.

64 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص580؛ الوافي بالوفيات، ج9، ص169؛ ج24، ص192؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص343-344، ص347؛ المقفى الكبير، ج2، ص125، ص164؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص160، ص456؛ ج6، ص388؛ النجوم الزاهرة، ج10، ص31، ص34.

65 المقرئ، المقفى الكبير، ج2، ص164؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص392.

66 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص586، ص589؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص253.

67 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص589-590؛ ج4، ص83؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص253؛ ج24، ص156؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص350، ص358؛ المقفى الكبير، ج1، ص386؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص498؛ النجوم الزاهرة، ج10، ص37، ص55.

68 بيبرس الجاشنكير المنصوري: هو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك المعروفة بدولة المماليك البحرية، والسابع من السلطين الرق، والأول من الجراكسة، وحكم أقل من سنة، والجاشنكير: أصلها فارسي مركبة من لفظين، أحدهما: جاشنا بجيم في أوله، وهي الفارسية القريبة من الشين، ومعناها: الذوق، ولذلك يقولون فيمن يذوق الطعام ” الشيشني “، والثاني كبير، ومعناها: المتناول أي الذي يتذوق الطعام، وهي وظيفة في العصر المملوكي تُسمَّى الجاشنكيرية، والجاشنكير هو المتحدث في أمر السماط مع الأستاذار، ويتذوق الشراب قبل السلطان في الولائم، والأسمطة خوفاً من أن يُدس فيه سم أو غيره. ويساعده صغار الجاشنكيرية. للمزيد عن السلطان انظر: المقرئ، الخطط، ج2، ص249؛ السلوك، ج1، ص45؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص183226، ج9، ص3-14؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص423-435؛ وللمزيد عن الوظيفة انظر: القُلُقَشْنَدِي، صُبْح الأعشى، ج4، ص21، ص46، ج5، ص460؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صُبْح الأعشى، ص81.

69 تولى بيبرس الجاشنكير عرش السلطنة المملوكية عام 708هـ/1308م واتخذ الأمير شمس الدين سلار نائباً للسلطنة، وكان الاثنان قد حجرا على الناصر محمد في سلطنته الثانية حتى أنه لم يستطع التصرف في أمواله، بل

- وحتى طعامه ومصروفه؛ لذا زعم الناصر أنه مسافر لقضاء فريضة الحج، ثم عرج على بلدة الكرك واستغفى من السلطنة. انظر للمزيد: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص71-73.
- 70 الذهبي، العبر في خبر من غير، ج4، تحقيق: أبو هاجر محمد، بيروت 1431هـ، ص125؛ الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص90؛ الوافي بالوفيات، ج10، ص71؛ زين الدين العراقي، الذيل على ذيل العبر، تعليق: أحمد عبد الستار، دار الذخائر 2019م، ص40، المقرئ، السلوك، ج3، ص360، 362؛ المقفئ الكبير، ج1، ص386؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص59. الغريب هنا أن المؤرخ العراقي يذكر أن الطنبغا كان ثالث حمص أخضر والفخري الذين أعادوا الناصر أحمد من الكرك إلى عرش السلطنة.
- 71 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص253؛ ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك، ورقة 165؛ الشجاع، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالح وأولاده، تحقيق: برباره شيفر، فيسبادن 1978م، ص204، 205؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص389؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص363؛ المقفئ الكبير، ج1، ص387؛ الخطط المقرئية، ج3، ص374؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص61، 102. الجدير بالذكر أن المصادر المملوكية السالفة اختلفت في مدة نيابته للسلطنة في مصر؛ فذكر أحدها أن نيابته كانت خمسة وثلاثين يومًا، وذكر ثان أنها كانت ثلاثة وثلاثين يومًا، وذكر ثالث أنها كانت أربعين يومًا، ويرجح الباحث أن المدة كانت خمسة وثلاثين حسبما أوردت أغلب المصادر في ترجمته.
- 72 ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص499؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص63.
- 73 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص441-442؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص365؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص51-53؛ هنية بمنوس، العزل السياسي لأرباب الدولة خلال عصر المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م، مجلة كلية الآداب جامعة بنها أبريل 2016م، ص21).
- 74 المقرئ، السلوك، ج3، ص365.
- 75 المقرئ، المقفئ الكبير، ج1، ص388؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص66.
- 76 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص587، 590؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص254؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج3، ص46؛ درة الأسلاك، ورقة 168-169؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص390؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص367-368؛ 375، 390؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص393؛ النجوم الزاهرة، ج10، ص69، 101؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، طبعة بولاق القاهرة 1311هـ، ص497.
- 77 المقرئ، السلوك، ج3، ص376.
- 78 المقرئ، السلوك، ج3، ص404.
- 79 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص71-73.
- 80 تطلق هذه التسمية على الأمراء الذين يقومون بدق الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية في الموكب الرسمية، وفي الغالب كان أمراء الطبلخانات يخضعون لأمراء الآلوف. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص480؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص43.

Van Steenberg, Jo. "The Mamluk Sultanate as a Military Patronage State: Household Politics and the Case of the Qalāwūnid bayt (1279-1382)". *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 56.2 (2013): 189-217.

81 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص141. يبدو أن هذا الأمير هو الذي ذكر المقرئ أن حفل ختانه كان في عام 721هـ، وكان ذلك بحضور السلطان الناصر محمد بن قلاوون. المقرئ، السلوك، ج3، ص55؛ المقفى الكبير، ج2، ص270.

82 المقرئ، السلوك، ج4، ص9؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص119.

83 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص365؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل بذيل الدول، ج1، ص304، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت 2002م، ص304، 305.

84 ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص263.

85 عرفت هذه المنطقة بدار البقر أو حوش الأبقار، وتقع في القاهرة بين قلعة الجبل وبركة الفيل، وأنشأها الناصر محمد بن قلاوون. انظر: المقرئ، الخطط المقرئية، ج3، ص265.

86 يبدو أن هذا الموضوع بالقرب من سوق الحريرين الذي أورد عنه المقرئ أنه يقع من باب قيسارية العنبر إلى خط البندقانيين، وكان يعرف قديماً بسقيفة العداس، ثم عمل صاغة القاهرة، ثم سكن هناك الأساكفة. انظر: الخطط المقرئية، ج3، ص185.

87 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص588، 591؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص591؛ المقرئ، السلوك، ج3، ص317؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص102.

88 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص102؛ المنهل الصافي، ج6، ص65؛ السخاوي، الضوء اللامع لأعيان أهل القرن التاسع، ج3، دار الحياة بيروت 1431هـ، ص271؛ ج4، ص330؛ ج8، ص236، 248؛ ج10، ص277. ذكر المقرئ أن موضع عاصمة مصر العسكر كان يعرف في صدر الإسلام بالحمراء القصوى، وكانت خطة بني الأزرق، وبني رويل، وبني يشكر بن جزيلة، ثم اندثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل، حتى صارت صحراء، فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر منهزماً من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي، وأبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء، حيث جبل يشكر حتى ازدحمت بهم، وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه. انظر: المقرئ، الخطط المقرئية، ج2، ص201.

89 ذكر المقرئ أن الزريبة شيدها الملك الناصر محمد بن قلاوون، حين وهب البستان الذي كان بالميدان الظاهري للأمير قوصون فأنشأ أمامه على النيل زريبة، ووقفها، فعمر الناس هناك حتى انتظمت العمارة من حكر ابن الأثير إلى الزريبة، وعمر بالزريبة حماماً وسوقاً كبيراً، وطواحين وعدة مساكن. انظر: المقرئ، الخطط المقرئية، ج3، ص235.

90 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص591؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص254؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص102.

91 المقرئ، السلوك، ج3، ص236؛ النجوم الزاهرة، ج9، ص121.

كان أميراً وهو في عداد الملوك الكبار، وهو المشار إليه في أواخر الدولة الناصرية

- 92 أحد الأطباء المشهور لهم بالعلم والنبوغ في عصر المماليك، كان من تلاميذ الطبيب علم الدين الشوبكي المعروف بتوما، الذي كان يدرس الطب بجامعة ابن طولون، وعقب وفاته آلت رئاسة الطب لابن المغربي الذي ورثه مكانه في جامع ابن طولون، وكان المغربي لا يدخل إلى قلعة الجبل بحضرة السلاطين إلا بصحبة أستاذه توما. انظر للمزيد: الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص144-145؛ 404.
- 93 المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج3، ص234، ص326.
- 94 لم يعثر الباحث على ترجمة لهذا الأمير في كتب الطبقات والتراجم، ويبدو أنه أحد الأمراء الذين لم يُنعم عليهم بتولي أحد الوظائف الكبرى، لذا غابت ترجمته عن المصادر المملوكية.
- 95 المقرئزي، السلوك، ج3، ص315؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص122، 188.
- 96 المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج3، بيروت 1418هـ، ص125.
- 97 المقرئزي، السلوك، ج2، ص490.
- 98 أورد المقرئزي عن هذا الميدان أنه يقع في الموضع خارج القاهرة من شرقيها، فيما بين منطقة النقرة التي ينزل من قلعة الجبل إليها، وبين قبة النصر أسفل الجبل الأحمر، ويقال له أيضًا الميدان الأسود، وميدان العيد، والميدان الأخضر، وميدان السباق، وهو ميدان السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، بنى به مصطبة في الحرم من سنة ست وستين وستمائة، عند ما احتفل برمي النشاب وأمور الحرب، وحثّ الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك. انظر: المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج3، ص200.
- 99 المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج4، ص361-362.
- 100 الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص588، 631-632؛ الوافي بالوفيات، ج16، ص296؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج4، ص12؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص144.
- 101 إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة 1969م، ص293؛ الضوء اللامع، ج8، ص220.